المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك فيصل
كلية الآداب
قسم الدراسات الاسلامية

المُحكم والمُتشابه

بحث مقدم في مادة (مشروع التخرج)

إعداد الطالبة :

أثـر ~

الرقم الجامعي :

٢١٣١*****

إشراف الدكتور :

د. محمد القطاونة

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بالكلية

الفصل الأول ١٤٣٧هـ

ملخص الدراسة

تحاول الباحثة من خلال هذا البحث الوقوف على المحكم والمتشابه، الذي يُعد بابًا من أبواب علوم القران ، وقد اختلف العلماء في هذا الباب كثيرًا ، فوقفت الباحثة على جُملة من أقوال العلماء في تعريف المحكم والمتشابه ، وبيّنت طرق التعامل مع المحكم والمتشابه ، وكيف كان السلف يتعاملون معه ، وأيضًا تطرقت الباحثة على حال المبتدعة مع المحكم والمتشابه ، وأقسام الناس نحوه ، والحكمة من وروده .

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوجا ، والصلاة والسلام على من جاء بالحق والهدى ، وصلّ اللهم وسلم على محمد و آله ومن اقتفى أثره ومن اتقى ، ثمّ أما بعد :

لا شك أن عِلم علوم القران من أجلّ العلوم وأشرفها ، وأعلاها منزلة ومكانة ، وأعظمها إجلالاً وبركة ، وذلك لتعلّقه بالقرآن الكريم ، بل وهو السبيل بعد الله لمعرفة ما يحويه من علوم وأحكام ، ومقاصد ومعاني ، وتدبر وتفكر.

وفضائل هذا العلم كثيرة جليلة ، وأبوابه واسعة عميقة ، وقد اخترت من بحر أبوابه وموضوعاته،

(المحكم والمتشابه) وكتبت فيه بحث مُتواضع أسأل الله فيه الفتح والقبول والإخلاص والتوفيق والسداد .

وإن مما يجدر بيانه في هذه المقدمة الأمور التالية :

دراسات السابقة

وجدت من خلال بحثي في المصادر والمراجع وفهارس الكتب، أن كثيرا من علماء علوم القران أفردوا في كتبتهم بابًا خاصا لموضوع المحكم والمتشابه، ودراسات كثيرة، واختلافات وآراء جمّة ، قدمت لي نفعًا كبيرًا في بحثي المتواضع ،مثل: كتاب علوم القران لـ نور الدين عتر (١٩٩٣ م) ، وتطرق فيه للمحكم والمتشابه في كتابه بتعريفه في اللغة والاصطلاح وسبب وروده. وأيضا كتاب الواضح في علوم القران(١٩٩٨ م)، لـ مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو ، حيث ذُكر فيه تعريف المحكم والمتشابه والحكمة منه. وهناك الكثير الكثير غيرهم يطول ذكرها هُنا .

هدف الدراسة

الهدف من هذه الدراسة هو العناية بكتاب الله عز وجل ، ومعرفة حقيقة المحكم والمتشابه ، وأقوال العلماء فيه وكتابته بشكل مُبسّط ؛حتى يسهل على القارئ استيعابه ، والاستفادة منه.

صعوبات الدراسة

كان اختياري لهذا الموضوع بسبب حاجتي الماسّة لفهم معنى مُحكم القران ومتشابهه ولفضولي لمعرفة أقوال العلماء فيه ، وقد اطلعت على أقوالهم وآراءهم ، ووجدت اختلافات كثيرة ، حتى أنّي استصعبت الموضوع في البداية ، بل وقلقتُ وكدت أن أُغيّر موضوعي ، لكنّي استعنت بالله وأكملت بكل شغف لتعلم المزيد من هذا العلم،

وعلى الله سُبحانه التكلان .

منهجية الدراسة

أما عن منهجية الدراسة فقد عرضت و ركّزت على أربعة أمور :

١. مفهوم المحكم والمتشابه.

٢. طريقة التعامل مع المحكم والمتشابه.

٣. أقسام الناس في المحكم والمتشابه.

٤. الحكمة من ورود المحكم والمتشابه

الشكر والثناء

أشكر جزيل الشكر أمّي الحنون ، لتشجيعها ودعمها الدائم لي ،ثم الشكر موصول لكل روح طيّبة سألت عن بحثي وحاولت مساعدتي وإرشادي لإنجاز هذا البحث المتواضع .

هيكل الدراسة

- ملخص الدراسة

المقدمة وتشمل :

-دراسات سابقة

- هدف الدراسة

- صعوبات الدراسة

- منهجية الدراسة

- الشكر والثناء

المبحث الأول : مفهوم المُحكم والمُتشابه وفيه ثلاثة مطالب:

١. تمهيد.

٢. مفهوم المحكم والمتشابه في اللغة.

٣. مفهوم المحكم والمتشابه في الاصطلاح.

المبحث الثاني :طريقة التعامل مع المُحكم والمتشابه وفيه ثلاثة مطالب:

١. كيف كان السلف يتعاملون مع المحكم والمتشابه.

٢. تعامل المبتدعة مع المحكم والمتشابه.

٣. المحكم والمتشابه في العلم والعمل.

المبحث الثالث : أقسام الناس في المُحكم والمُتشابه ، وحكمة وروده، وفيه ثلاثة مطالب :

١. الطائفة الأولى : وهم أهل الحق.

٢. الطائفة الثانية : وهم أهل الباطل.

٣. الحكمة من ورود المحكم والمتشابه.

الخاتمة: وتشمل على:

١. أهم النتائج.

٢. التوصيات.

الفهارس والمراجع

وعلى الله سُبحانه توكلت ، وبه استعنت ، فأسأله الإخلاص و القبول والسداد والتوفيق .

وصلّ اللهم على محمد وآل محمد وصحب محمد تسليمًا طيّبًا كثيرا .

******

المبحث الأول : مفهوم المُحكم والمُتشابه وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تمهيد

يجدر بنا قبل الحديث عن المحكم والمتشابه ، أن نأتي بالآيات القرآنية الواردة في هذا الموضوع ، وبما أننا نعلم أن القرآن منزه عن التناقض، فإننا نجزم أن هذه الآيات لا تناقض فيها، بل لكل آية معنى سديد ودقيق يلحظ بالتأمل والتمحيص والتحقيق.

فآية تصف القرآن- كل القرآن- بأنه محكم ، في قوله تعالى : { الر* كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ } [هود: ١].

وآية تصف القرآن- كل القرآن- بأنه متشابه، في قوله تعالى : { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً } [الزمر: ٢٣].

وآية تصف القرآن بأنه منه المحكم والمتشابه ، وهذه الآية هي موضوع حديثنا بإذن الله ، وهي تفيد أن القرآن الكريم يشتمل على المحكم والمتشابه معا، في قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ }[آل عمران: ٧].

المطلب الثاني : مفهوم المُحكم والمتشابه في اللغة.

– **المحكم :** المتقن. — ومن القران: الظاهر الذي لا شُبهة فيه ولا يحتاج إلى تأويل. وفي التنزيل العزيز: {مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} (آل عمران :٧). [١]

وفي الحديث في صفة القرآن: { ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ } (آل عمران:٥٨)

المحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، فعيل بمعنى مفعل، أحكم فهو محكم. وفي حديث ابن عباس: قرأت المحكم على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ يريد المفصل من القرآن لأنه لم ينسخ منه شيء، وقيل: هو ما لم يكن متشابها لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره، والعرب تقول: حكمت وأحكمت وحكمت بمعنى منعت ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم، لأنه يمنع الظالم من الظلم. [٢]

– **المتشابه :** مأخوذ من التشابه وهو التماثل. [٣]

(المتشابهات) المتماثلات. و(المشتبهات) من الأمور المشكلات. و (تشبه) فلان بكذا. و (التشبيه) التمثيل. و (أشبه) فلانا و (شابهه) . و (اشتبه) عليه الشيء. [٤]

وقيل معناه أن النص القرآني يحتمل عدة معان. وفي التنزيل العزيز: { مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } (آل عمران :٧). [٥] والمتشابه ما لم يتلق معناه من لفظه، وهو على ضربين: أحدهما إذا رد إلى المحكم

---

(١) المعجم الوسيط ، (١٩٧/١)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)–دار الدعوة

(٢)لسان العرب (١٢/ ١٤١)، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)–دار صادر — بيروت – الثالثة – ١٤١٤ هـ

(٣)نفحات من علوم القرآن (ص: ٧١)، محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: ١٤٣٠هـ)–دار السلام — القاهرة–الثانية،: ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

(٤)مختار الصحاح (ص: ١٨٣)، : زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ–المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت — صيدا ،الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٥) المعجم الوسيط ، (ص: ٤٩٠).

عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته، فالمتتبع له مبتغ للفتنة لأنه لا يكاد ينتهي إلى شيء تسكن نفسه إليه. [1]

المطلب الثالث : مفهوم المُحكم والمتشابه في الاصطلاح .

لقد اختلف العلماء في المعنى الاصطلاحي للمحكم والمتشابه اختلافات كثيرة ، وقالوا فيه أقوالًا عديدة، في قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } (آل عمران:٧)، وقفت عند كثير منها، وسأذكر بعضها فيما يلي :

قال الجرجاني في كتابه التعريفات بأنّ :

المحكم : ما أحكم المراد به عن التبديل والتغيير، أي التخصيص . [2]

والمتشابه : هو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلًا. كالمقطعات في أوائل السور. [3]

وقال ابن عباس في تفسيره :

{آيات مُّحْكَمَاتٌ} مبينات بالحلال وَالْحَرَام لم تنسخ يعمل بها .

{وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} مَا اشتبهت على الْيَهُود من نَحْو حِسَاب الْجمل مثل آلم، المص، ق، المر، والر، وَيُقَال منسوخات لَا يعْمل بهَا [4].

أما الطبري فقال :

([1])لسان العرب (١٣/ ٥٠٥)

([2])التعريفات (ص: ٢٠٥)، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)-دار الكتب العلمية بيروت –لبنان- الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

([3])التعريفات (ص: ٢٠٠)

([4])تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: ٤٣)، لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: ٦٨هـ)،مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)-دار الكتب العلمية – لبنان.

جعل الكل محكما، أراد أن الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل،

وحيث جعل الكل متشابها أراد أن بعضه يُشبه بعضا في الحق والصدق وفي الحُسْن . [1]

وقيل أيضًا أن المحكم : هو الواضح المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال. [2]وما لا يحتمل إلا وجها واحدا من التأويل و ما كانت دلالته راجحة.[3]

والمتشابه : هو ما لا يستقل بنفسه، بل يحتاج إلى بيان، فتارة يُبيّن بكذا، وتارة بكذا، لحصول الاختلاف في تأويله.[4]

وقال أبو المظفر في كتابه قواطع الأدلة في الأصول :

وأحسن الأقاويل أن المتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه وكلفهم الإيمان به، والمحكم مما اطلع العلماء عليه وأوقفهم على المراد به وهذا هو المختار على طريقة السنة وعليه يدل ما ورد من الأخبار وما عرف من اعتقاد السلف. [5]

******

(1)تفسير البغوي – طيبة (٢/ ٨)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)،دار طيبة للنشر والتوزيع-الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(2)علوم القرآن الكريم – نور الدين عتر (ص: ١٢٢)، نور الدين محمد عتر الحلبي-مطبعة الصباح – دمشق-الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

(3)الواضح في علوم القرآن (ص: ١٢٤)، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو-دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق-الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

(4)الواضح في علوم القرآن (ص: ١٢٥)،

(5)قواطع الأدلة في الأصول (١/ ٢٦٥)، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)-دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان-الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٩م.

المبحث الثاني :طريقة التعامل مع المُحكم والمتشابه وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : كيف كان السلف يتعاملون مع المُحكم والمُتشابه.

يجب على كل مسلم أن يعمل بما ظهر له، وأن يؤمن ويوقن بما اشتبه عليه، وأن يرد المتشابه إلى المحكم، ويأخذ من المحكم ما يبين له المتشابه ، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم، وتوافق النصوص بعضها بعضًا، ويصدق بعضها بعضًا، فإن المحكم والمتشابه كليهما من عند الله، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض، بل الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غير الله .هذه طريقة الصحابة والتابعين في التعامل مع المحكم والمتشابه.

قال ابن تيمية: "والمقصود هنا أن الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الأصل، ويتدبر معناه ويعقل....ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا.

وفي هذا المقام تنبهات مهمة:

١- اتفق علماء الأمة على أن ليس في القرآن ما لامعنى له.

٢- اتفق السلف على أن جميع ما في القرآن مما يفهم معناه، ويمكن إدراكه بتدبر وتأمل، وأنه ليس في القرآن ما لا يمكن أن يعلم معناه أحد .

قال ابن تيمية: "ولا يجوز أن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجميع الأمة لا يعلمون معناه، كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ" .

وقال أيضًا: "والدليل على ما قلناه إجماع السلف؛ فإنهم فسروا جميع القرآن.....وكلام أهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القرآن، إلا ما قد يشكل على بعضهم فيقف فيه، لا لأن أحدًا من الناس لا يعلمه، لكن لأنه هو لا يعلمه.

وأيضًا فإن الله قد أمر بتدبر القرآن مطلقًا، ولم يستثن منه شيئًا لا يتدبر، ولا قال: لا تدبروا المتشابه....

ولأن من العظيم أن يقال: إن الله أنزل على نبيه كلامًا لم يكن يفهم معناه، لا هو ولا جبريل عليه السلام....

وأيضًا فالكلام إنما المقصود به الإفهام؛ فإذا لم يقصد به ذلك كان عبثًا وباطلاً، والله تعالى قد نزه نفسه عن فعل الباطل والعبث....

وبالجملة فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول: إن في القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول ولا غيره.

نعم قد يكون في القرآن الكريم آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، وليس ذلك في آية معينة، بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره، وتارة لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب" .وهو فتح من الله عز وجل لمن فُتح عليه .

٣- اتفق السلف على أن في القرآن ما لا يعلم تأويله إلا الله، كالروح، ووقت الساعة، والآجال، وهذا قد يسمى بالمتشابه .

والمراد بالتأويل الذي لا يعلمه إلا الله: معرفة الشيء على حقيقته وما يؤول إليه، أما التأويل بالمعنى الآخر: وهو تفسير الشيء ومعرفة معناه، فهذا مما يعلمه أهل العلم، فإنهم يعلمون معنى الكلام الذي أخبر به عن الساعة .

قال ابن تيمية: "وعلى هذا فالراسخون في العلم يعلمون تأويل هذا المتشابه الذي هو تفسيره، وأما التأويل الذي هو الحقيقة الموجودة في الخارج فتلك لا يعلمها إلا الله" .

٤- ولذلك فإن أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى تكون من المتشابه باعتبار كيفيتها، وليست من المتشابه باعتبار معناها.

٥- وكذلك فإن الوقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ} [آل عمران:٧] ، يصح بناءً على أن التأويل بمعنى معرفة الشيء على حقيقته ويجوز الوصل وترك الوقف بناءً على أن التأويل بمعنى التفسير والبيان.[١]

([١])معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص: ١٠٦-١٠٧-١٠٨)، محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني- دار ابن الجوزي- الخامسة، ١٤٢٧ هـ.

المطلب الثاني : تعامل المُبتدعة مع المُحكم والمُتشابه.

يجب على كل إنسان الحذر من طريقة أهل البدع والأهواء؛ فإن لهم طريقين في رد السنن :

أحدهما: رد السنن الثابتة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – بالمتشابه من القرآن أو من السنة.

والثاني: جعل المحكم متشابهًا ليعطلوا دلالته.

وقد ورد في آية آل عمران أن موقف المؤمنين الراسخين في العلم من المتشابه هو الإيمان به ورده إلى الله سبحانه، وأن موقف الزائغين أصحاب القلوب الضعيفة المريضة هو اتباع المتشابه والاستدلال به على مقالاتهم الباطلة طلبًا للفتنة وتحريفًا لكتاب الله.[1]

([1])معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص: ١٠٨)،

المطلب الثالث : المحكم والمتشابه في العلم والعمل.

((المقصود بذكر المحكم والمتشابه بأن العلم منه محكم ومتشابه، وأن العمل منه محكم ومتشابه، وإذا كان كذلك فينبغي لطالب العلم في دراسته لعلوم الشريعة أن يعنى بالمحكم من هذه العلوم، وكذلك في باب العمل.

كذلك على المسلمين اليوم خاصتهم وعامتهم –ومصطلح الخاصة والعامة مصطلح لا بأس بالتعبير به، وإن كان مصطلحاً تكلم به بعض الصوفية، لكن الإمام الشافعي استعمله كثيراً، والخاصة هم أصحاب الفقه والإمامة والعلم، أو القصد إلى ذلك، والعامة هم دون ذلك –أن يعتنوا بمحكمات العلم ومحكمات العمل.

وقد يقول قائل: هذا الكلام لا يطلع عليه إلا القليل، وأنت تقول: المسلمون، فهل نستطيع أن نصحح؟

فنقول: الإنسان أولاً مكلف أن يبدأ بنفسه ثم بمن يسمع صوته، ثم لماذا ظهرت الآن بعض المظاهر البدعية عند المسلمين وعليها ملايين من أهل الإسلام؟ لأن النفس البشرية –وننبه إلى أن فقه النفوس أمر مهم، فإن البعض –خاصة من السلفيين– يدرسون العلوم دراسة تجريبية، وهذا خطأ، فإن هناك مسائل لابد للإنسان أن يتعلم فقهها ليصل فيها إلى تصحيح نفسه وإلى طريقة مخاطبة الغير– فنقول: لأن النفس البشرية موصوفة بالظلم والجهل والضعف وما إلى ذلك، وهذا موجود في القرآن، وليس بالضرورة أن تذهب إلى كتب علم النفس، هذا في القرآن في صفات النفس البشرية، فإن الله لما ذكر النفس قال: {وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب:٧٢]، {وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا} [النساء:٢٨]، {إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا} [المعارج:١٩]، فهذه الكلمات التي في توصيف النفس البشرية لا بد أن يكون طالب العلم فقيهاً فيها، ومع الأسف أنه أصبح العلم عن أحاديث الأحكام فقط، هذه هي أم العلم، وأما الباقي فإنها آداب، ولا تحتاج إلى عناية كبيرة!

مع أن هذا المنهج ظاهر في صنيع المحدثين الذي كتبوا في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، فإنهم لم يصنفوا في الأحكام فقط، فقد صنف البخاري فاختار ما صح عنده لكن في سائر أبواب الدين، بل حتى إنه لم يبتدئ بكتاب العبادات، بل بدأ بما هو قبل ذلك: باب الوحي والعلم والإيمان، ولما صنف مسلم فعل كذلك، ولما صنف أصحاب السنن فعلوا كذلك، فكانوا يذكرون أحاديث أصول الدين أولاً، ثم يذكرون أبواب الفقه ومسائل الآداب والأخلاق في سائر مواردها التي نزلت بها.

بل إننا نجد ذلك في القرآن، فإن ذكر القصص وتفصيل القصص في القرآن هو لقصد العبرة، وليس كمعلومات مجردة، قال سبحانه وتعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف:٣]، وهذه في أول السورة، وفي

آخرها قال عز وجل: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ} [يوسف:١١١]، ونجد أن قصة موسى عليه السلام ذكرت في أكثر من موضع في القرآن، مع أنها في كثير من هذه المواضع فيها تقارب؛ لأن هذه تعطي العابد والسالك وطالب العلم والمسلم والمؤمن منهجاً، والله سبحانه وتعالى أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقتدي بإخوانه الأنبياء، فما بالك بمن هو من أتباع الأنبياء واتباع هذا النبي، فهو أولى بهذا الاقتداء وهذا الفقه والتدبر لقصص الأنبياء، وأحوال النفس والإنسان وما إلى ذلك.

فمسألة المحكم والمتشابه ينبغي لطالب العلم دائماً أن يضعها في ذهنه، وأن يصرف جمهور وقته في محكم العلم والعمل، وأن لا يعطي المتشابه إلا قدراً يسيراً، أم أن يمضي طالب العلم كثيراً من وقته، ومن عمره أمام المجتمع وأمام الناس، وفي متشابه العلم، أو متشابه العمل، فهذه الحال نحن نحاول أن نصححها للعامة، لكن كيف نصححها للعامة وطلبة العلم هم يعيشونها في أنفسهم، بل إننا نجد أحياناً أن بعض العوام عنده من المحافظة على محكمات العمل أكثر مما عند كثير من طلبة العلم، ونحن لو تأملنا هدي السلف الأول، وأجل السلف الأول هم الصحابة؛ لوجدنا أن هديهم عامته -إذا لم يكن جميعه- في محكم العلم ومحكم العمل.

بل حتى الأسئلة التي هي نوع من المتشابه ما كان الصحابة يسألونها؛ ومن ذلك: أنه لما حدث رسول الله عليه الصلاة والسلام في مسألة كتابة العمل فقال: (ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من الجنة أو من النار) لم يسأل كبار الصحابة: ففيم العمل؟ وإن كان قد سأل بعض من حضر من الصحابة، لكن هذا السائل لم يكن من أئمة وكبار الصحابة؛ بل لم يكن يمثل أيضاً أكثر الصحابة، ثم هذا السائل ليست هذه حاله على الدوام ولا على الغلبة، بل هي حال عرضت له، وكان سؤالاً يعرض لكثير من النفوس، لكن جمهور الصحابة ما سألوا، ولم يكونوا رضي الله عنهم تركوا السؤال لأنه لم يرد عندهم هذا السؤال؛ بل لأن من فقه حقائق الشريعة فقهاً مناسباً وتخلص من العوائد والتعصب والإلف والتقليد غير الشرعي؛ حصل له محكم العلم، ومحكم العمل، وصار يعيش فقهاً في نفسه، وطمأنينة وسكينة وما إلى ذلك.)) [1]

([1])شرح الوصية الكبرى (٢/ ٩، بترقيم الشاملة آليا) لابن تيمية: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي- دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلاميةhttp://www.islamweb.net.

******

المبحث الثالث : أقسام الناس في المُحكم والمُتشابه وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الطائفة الأولى : وهم أهل الحق.

ينقسم الناس أمام المحكم والمتشابه إلى طائفتين: الطائفة الأولى: أهل الحق الذين يريدون اتباع الحق، فهؤلاء يتبعون المحكم الواضح، وإذا وجدوا متشابهاً في الآيات فإنهم يردونه إلى المحكم.

مثاله: قول الله عز وجل: {نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ} [الواقعة:٥٧] فقوله: (نحن) قد يأتي إنسان ويقول: هذه الآية تدل على تعدد الآلهة، وأن الإله ليس واحداً وإنما هو مجموعة، ولهذا عبر بلفظ (نحن) التي تدل على الجماعة.

للرد على هذا نقول: إن الله عز وجل في آيات كثيرة لا تحصى، وهي من مقررات هذا الدين الذي لاشك فيه أن الإله واحد: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [البقرة:١٦٣] فهذه الآية وغيرها تدل على أن الإله واحد فقط، وهذه هي كلمة التوحيد، وهذه هي الكلمة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا لما دعا قومه قالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص:٥].

إذاً: كيف نفهم (نحن) التي تدل على الجماعة؟.

نفهمها بأن (نحن) تدل تارة على المجموعة، وتارة تدل على الواحد المعظم.

فأنت عندما تأتي إلى مثل هذه الآية التي قد يفهم منها أن الآلهة متعددة تقول: هذه الآية المتشابهة نحملها على الآية المحكمة، وهي قوله: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [البقرة:١٦٣] وغيرها من الآيات، فنفهمها على أن قوله: (نحن) يعني: الواحد المعظم وهو الله سبحانه وتعالى.

وهكذا يكون طريق أهل السنة وطريق الصالحين، أنهم في بحثهم وفي نظرهم وفي اجتهادهم وفي اشتغالهم بالعلم يعرفون المحكم ويدرسونه دراسة واضحة، وعليه من الأدلة والبراهين والحجج الشيء الكثير، فإذا وجدوا المتشابه حملوه على

المحكم وردوه إليه؛ لأن من العبث أن يهمل الإنسان المحكم والواضح متعدد الأدلة، فيترك هذا المحكم ويأخذ متشابهاً من المتشابهات ويبني عليه عقيدة، أو يبني عليه أدباً أو خلقاً أو حكماً من الأحكام. [1]

المطلب الثاني : الطائفة الثانية : وهم أهل الباطل.

أما الطائفة الثانية: هم أهل الأهواء الذين لهم أهواء معينة في نفوسهم: وهي أنهم يتبعون ما تشابه منه، تجد أنهم في تأويلهم للصفات يقولون: أنتم إذا أثبتم أن لله يداً وأن له وجهاً وأن له قدماً وأن له رحمة ونحو ذلك فأنتم شبهتموه بخلقه، والله عز وجل يقول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى:١١].

نقول: لماذا تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ لأن القائل: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى:١١] هو القائل: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة:٦٤] وهو القائل: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف:٥٤].

وهو القائل غيرها من النصوص التي فيها إثبات الصفات، فلماذا نضرب هذه بهذه؟ أو لماذا نلغي النصوص التي في الإثبات ونأخذ هذا النص الذي نفهم منه النفي فنجعله نفياً مطلقاً، ونترك تلك النصوص؟ هذا من العبث.

ولهذا فإن أهل الأهواء قد يستدلون في بعض الأحيان بالمتشابه، ولهذا عندما أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج قال له: إن القرآن حمال وجوه، فاستدل عليهم بالسنة.

معنى هذا أن الخوارج سيأتون إلى نصوص معينة ويستدلون بها على ما يعتقدون، وحينئذ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لـ ابن عباس: إن القرآن حمال وجوه فاستدل عليهم بالسنة، يعني: ردهم إلى المحكم.

ولهذا فأي ضال أو مبتدع يمكن أن يستدل، فمثلاً: الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة كالذي يغش في البيع، إذا قيل لهم: ما الدليل على التكفير؟ يقولون: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من غشنا فليس منا) يعني: ليس من جماعتنا نحن المسلمين، وهذا دليل واضح على أنه من الكافرين إذا كان ليس من المسلمين.

([1])شرح الحموية – عبد الرحيم السلمي (٤/ ٦، بترقيم الشاملة آليا)، د الرحيم بن صمايل العلياني السلمي–دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلاميةhttp://www.islamweb.net .

انظروا كيف أن الإنسان إذا كان عنده عقيدة يمكن أن يأخذ من هنا وهنا ويحاول أن يحصل لنفسه أدلة ليسوغ مذهبه وفكره وطريقته التي يراها، لكن الطريقة الصحيحة هي أنك إذا وجدت متشابهاً ترده إلى المحكم، ولا تهمل المحكم.

فأنت إذا كنت معظماً لكلام الله ومعظماً لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم، فكيف تعتني بنص واحد وتهمل عشرات النصوص الأخرى؟ [1]

المطلب الثالث : الحِكمة من ورود المُحكم والمتشابه.

قال الزمخشري في "كشافه": فإن قلت: فهل كان القرآن كله محكما؟ قلت: لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمّل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة اللَّه وتوحيده إلا به، ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند اللَّه، ولأنّ المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام اللَّه ولا اختلاف، إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد، ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح اللَّه عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم، ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوّة في إيقانه. [2] ولقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الحكم والأسرار الكامنة في ورود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم في هذه العبارة: {مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ ... } (آل عمران :٧)

فتضمن هذا النص حِكما علمية وعملية توسع العلماء في بحثها، نورد نبذا منها فيما يلي:

أولا: أن الله سبحانه احتج على العرب بالقرآن، إذ كان فخرهم ورياستهم بالبلاغة وحسن البيان، والإيجاز والإطناب، والمجاز والكناية، والإشارة والتلويح، وهكذا فاشتمل القرآن كذلك على هذه الفنون.

([1])شرح الحموية – عبد الرحيم السلمي (٤/ ٥، بترقيم الشاملة آليا)

([2])تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٣٣٨)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)–دار الكتاب العربي – بيروت–الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

ثانيا: أنزله الله سبحانه اختبارا ليقف المؤمن عنده، ويرده إلى عالمه فيعظم به ثوابه، ويرتاب به المنافق فيستحق العقوبة، ولم يضرهم جهلها ولو افتقروا إلى علمه لم يطوه عنهم، كما اختبر قوم طالوت بالماء فقال: إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ، فكما جاز ترك الأغراض في هذا وأن لا يقال ما العلة في هذا، فكذلك يؤمر بالمتشابه، ولا يقال: لم لم يكشف معانيها ولم يوضحها.

ثالثا: أنزل المتشابه لتشغل به قلوب المؤمنين، وتتعب فيه جوارحهم وتنعدم في البحث عنه أوقاتهم، ومدد أعمارهم، فيحوزوا من الثواب حسبما كابدوا من المشقة، والأثرة له على غيره مما يعمل لربه، كما تعبدهم بالصلوات، والصيام، والحج من المنازل إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وغيرها من الشرائع.

وهكذا كانت المتشابهات ميدان سباق تنقدح فيه الأفكار والعلوم لما ذكرنا من الحكم في ورودها في القرآن. [1]

******

الخاتمة

دائمًا لكل بداية نهاية ، وخير العمل ما كان موجزًا مفيدًا، وخير الكلام ما قل ودل ، فهذا جهد متواضع أرجو أن تكون الباحثه موفقة في سردها للعناصر السابقة سردًا لا ملل فيه ولا تقصير .

ومن أهم نتائج هذا البحث :

١- أن أقوال العلماء في المحكم والمتشابه رغم اختلافها إلا أنّها مكمّله بعضها للآخر .

٢- أن الواجب على كل مسلم أن يعمل بما استبان له، وأن يؤمن بما اشتبه عليه، وأن يرد المتشابه إلى المحكم، ويأخذ من المحكم ما يفسر له المتشابه ويبينه ويبتعد عن اتباع الفتنة لكي لا يُضلّ .

([1])علوم القرآن الكريم – نور الدين عتر (ص: ١٣٠)

٣- أن موقف المؤمنين الراسخين في العلم من المتشابه هو الإيمان به ورده إلى الله، وأن موقف الزائغين أصحاب القلوب المريضة هو اتباع المتشابه والاستدلال به على مقالاتهم الباطلة طلبًا للفتنة وتحريفًا لكتاب الله.

٤- ينبغي لطالب العلم دائماً أن يصرف غالب وقته في محكم العلم والعمل، وأن لا يعطي المتشابه إلا قدراً يسيراً.

٥- ينقسم الناس أمام المحكم والمتشابه إلى طائفتين: الطائفة الأولى: أهل الحق الذين يريدون اتباع الحق، فهؤلاء يتبعون المحكم الواضح، وإذا وجدوا متشابهاً في الآيات فإنهم يردونه إلى المحكم ، وأما الطائفة الثانية: هم أهل الأهواء الذين لهم أهواء معينة في نفوسهم: وهي أنهم يتبعون ما تشابه منه.

وأما عن التوصيات :

١- الاهتمام بالقران الكريم حفظا وتلاوة لاسيّما في محكمة ومتشابهه .

٢- الاطلاع على حال السلف في تعاملهم مع المحكم والمتشابه والاقتداء بهم .

٣- وأوصي أيضا بتدبر كتاب الله جل جلاله والعمل به وإقامة حروفه وحدوده .

وأخيرًا هذا ما استطعت تدوينه ، وهو جهد المقل ولا أدّعي فيه الكمال ، ولكن عذري أنّي بذلت فيه قصارى جهدي ووقتي ، فإن أصبتُ فمن الله سُبحانه ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان .

******

المراجع والمصادر

http://www.islamweb.net.

١- القرآن الكريم.

٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)-دار الكتاب العربي - بيروت-الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٣- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)-دار الدعوة.

٤- الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو-دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية - دمشق-الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٥- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: ٦٨هـ)،مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)-دار الكتب العلمية - لبنان.

٦- شرح الحموية: د الرحيم بن صمايل العلياني السلمي-دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

٧- شرح الوصية الكبرى لابن تيمية: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي- دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلاميةhttp://www.islamweb.net.

٨- علوم القرآن الكريم: نور الدين محمد عتر الحلبي-مطبعة الصباح - دمشق-الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٩- قواطع الأدلة في الأصول: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)-دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان-الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٩م.

١٠- كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)-دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١١- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)-دار صادر - بيروت - الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٢- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ- المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا ،الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٣- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني- دار ابن الجوزي- الخامسة، ١٤٢٧ هـ.

١٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)،دار طيبة للنشر والتوزيع-الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٥- نفحات من علوم القرآن: محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: ١٤٣٠هـ)-دار السلام – القاهرة-الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

****

فهرس الآيات

	الآيـــــــــــــــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	{الر* كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ }	هود	١	٥
٢	{ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً }	الزمر	٢٣	٥
٣	{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ }	آل عمران	٧	٥
٤	{مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}	آل عمران	٧	٦
٥	{ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ }	آل عمران	٥٨	٦
٦	{ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ }	آل عمران	٧	٦
٧	{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ }	آل عمران	٧	٧
٨	{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ}	آل عمران	٧	١٠
٩	{وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}	الأحزاب	٧٢	١٢
١٠	{وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا}	النساء	٢٨	١٢
١١	{إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا}	المعارج	١٩	١٢
١٢	{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}	يوسف	٣	١٢
١٣	{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ}	يوسف	١١١	١٣
١٤	{نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ}	الواقعة	٥٧	١٤
١٥	{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}	البقرة	١٦٣	١٤
١٦	{أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}	ص	٥	١٤
١٧	{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}	البقرة	١٦٣	١٤
١٨	{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}	الشورى	١١	١٥
١٩	{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}	المائدة	٦٤	١٥
٢٠	{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}	الأعراف	٥٤	١٥
٢١	{مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ ... }	آل عمران	٧	١٦

فهرس المحتويات

ملخص الدراسة ٢

المقدمة ٢

دراسات السابقة ٢

هدف الدراسة ٣

صعوبات الدراسة ٣

منهجية الدراسة ٣

الشكر والثناء ٣

هيكل الدراسة ٤

المبحث الأول : مفهوم المُحكم والمُتشابه وفيه ثلاثة مطالب: ٥

المطلب الأول: تمهيد ٥

المطلب الثاني : مفهوم المُحكم والمتشابه في اللغة. ٦

المطلب الثالث : مفهوم المُحكم والمتشابه في الاصطلاح . ٧

المبحث الثاني :طريقة التعامل مع المُحكم والمتشابه وفيه ثلاثة مطالب: ٩

المطلب الأول : كيف كان السلف يتعاملون مع المُحكم والمُتشابه. ٩

المطلب الثاني : تعامل المبتدعة مع المُحكم والمُتشابه. ١١

المطلب الثالث : المحكم والمتشابه في العلم والعمل. ١٢

المبحث الثالث : أقسام الناس في المُحكم والمُتشابه وفيه ثلاثة مطالب : ١٤

المطلب الأول: الطائفة الأولى : وهم أهل الحق. ١٤

المطلب الثاني : الطائفة الثانية : وهم أهل الباطل. ١٥

المطلب الثالث : الحِكمة من ورود المُحكم والمتشابه. ١٦

الخاتمة ١٧

المراجع والمصادر ١٨

فهرس الآيات ٢١

فهرس المحتويات ٢٢